المقدمة

في كلِّ لعبةٍ نلعبُها هناكَ فائزٌ و خاسرٌ، قدْ يكونُ الحظُّ حليفُنا أو لا يكون، اقلبِ النّردَ و انتظرْ الرّقمَ الموعود؛ ففي كلّ الحالاتِ سوفَ تقاتل، اعتبر العالمَ لعبةً و حاربْ بكلِّ ما لديكَ مِنْ قوّةٍ، حارب الجهلَ و الظلمَ و القبح، حتّى و إنْ تلوّثْتَ بدماءِ ما قتلتَ لا تستسلم؛ ففي النّهايةِ لَنْ تستطيعَ أنْ تحاربَ قبحَ العالَمِ بشيءٍ بدونِ أنْ تتلوّثَ منْهُ بشيءٍ .

هل هي مسألةُ وقتٍ؟ أم أنّها مسألةُ حياةٍ أو موتٍ؟ سألتُ نفسي هذا السؤالَ مرارًا و تكرارًا، إنَّ الوقتَ يحكمني، كأنّي دمية بينَ يديهِ تتمايلُ يمينًا و يسارًا؛ فشعرتُ بأنَّ السّاعةَ تطلب منّي العونَ، أرقامُها تتساقطُ كأنّها على فِراشِ الموتِ، و عندما نادَتْ على النّاسِ، قلَّ مَنْ سَمِعَ.

كما تشقُّ الطّيورُ طريقَها خارجَ البيضةِ، سوفَ أشقُّ طريقيَ خارجَ القوقعةِ الّتي وضعتُ نفسي داخلَها، خارجَ حدودِ وحدتي و انطوائيّتي، سوفَ أتغلّبُ على صعوباتِ حياتي؛ فمشواري يبدأُ بخطوةٍ عليَّ أن أمشيها ؛ بحثًا عن ذاتي، يجبُ أن أبدأَ من جديدٍ، و كأنّي ولدتُ لأوّلِ مرّةٍ، لكن الفرق هو أنّي أعي مكاني و نفسي الّاتي بحثتُ عنهم في السّنواتِ الماضيةِ.

تلكَ الأحلامُ الورديّةُ، العالَمُ العجيبُ و القصصُ الخياليّةُ، هل كلُّها ما زالت على قيدِ الحياةِ أم صارت سرابًا؟ هل يمكنُ أن أجدها أم قد فاتَ الأوان؟

تلكَ الفتاةُ اللتي كانت تحلم بأن تكونَ ملكةً على العرشِ أو أميرةً بفستانٍ جميل، هل هي ذاتها اللتي تعيشُ واقعًا مريرًا لا مفرَّ منه ولا سبيل؟...

تلكَ الفتاةُ اللتي عندما تستيقظُ صباحًا تكون وسادَتها قد ابتلّت بالدموعِ، الفتاةُ اللتي ما عادت تهتمُ لصوتِ العصافيرِ، تلك اللتي حازت على شحوبِ الوجهِ عوضًا عن السطوعِ...

تلك اللتي كانت تحلمُ بقصرٍ مليءٍ بالزهورِ، بحياةِ أميراتِ ديزني و أصدقاءٍ من بشرٍ و فراشاتٍ و طيورٍ،

تلك اللتي كانت تخفي وراء ابتسامةٍ جميلةٍ سيلاً من الدموع،

تلك اللتي لم يكن همها سوى القضاءِ على الفقرِ و الجوعِ، هاهي الآنَ تكتبُ هذا الكلام، على أملِ أن تقرأ هذا و تضحكَ يومًا ما، عندما تصبحُ الأمورُ أفضل... .

صورةٌ في البالِ لا تغيبُ، تظهرُ في كلِّ ليلةٍ مع ضوءِ القمرِ، و كأنّها مصدرٌ يستمدُّ منه القمرُ نورَهُ، تُنارُ أضواءُ المدينةِ في اللّيلِ و تُطفأُ في النَّهارِ، إلا نورَها الّذي يبدو كأنّه موسيقى يتراقصُ على لحنِها اللّيلُ، أشعرُ كأنَّ الحزنَ و السّعادةَ سويًّا مجتمعانِ، شعورٌ بالشّوقِ و الفرحِ و الحزنِ و الأمانِ ينتابُ كلّ ناظرٍ لذلك الوجه الذي يغارُ منهُ النّهارُ، أغوصُ في أعماقِ تلكَ الصّورة، و الموسيقى تأخذُني في رحلةٍ طويلةٍ في أفقٍ بعيد، مع نورِ القمرِ المنيرِ .

شيءٌ كالسّحرِ مرَّ، و قلبي بالسّعادةِ انغمرَ، وقفتُ أمامَ المرآةِ لم أرى وجهًا شاحبًا ولا هالاتٍ سوداء؛ فاعتقدتُ أنّ المرضَ قد فرَّ، و قلتُ تُرى هل هذا واقعي أم أنّه مجرّدُ وهم، كنتُ في حيرةٍ من أمري؛ فأحسستُ أني أُصبْتُ بسهمٍ، تُرى هل ستدومُ سعادتي؟ تُرى هل ستكونُ أيّامي ذات طعمٍ حلوٍ أم مُرّ؟.

و ما زلتُ أسألُ نفسي تُرى هل سأنامُ في قصورِ أحلامي، تحتَ الشّجرِ المخضرّ، آكل ما أشتهي و ما لذَّ و ما طابَ من الثّمرِ؟ أم سأنامُ فوقَ دفاترِ أشعاري، أم تحتَ ترابِ القبرِ؟.

في أيّامِ وحدتي كنتُ أحادثُ القمرَ المنير، أبوحُ له بأسراري، بخواطري و أفكاري، لعلّ ذلك القمرُ الذي يسبحُ في الفضاءِ الواسعِ يفهمُ مَا أشعرُ بهِ من وحدةٍ و آلامٍ ؛ الحزنُ باتَ مبدأي، البكاءُ صارَ ملجأي، أسألُ نفسي باستمرارٍ : ﴿هل أنا نكرة؟ هل أنا مجرّدُ فاصلة بين جملتين؟ هل أنا محطّةُ استراحة؟﴾ كنتُ أغرقُ في يمٍّ منَ الأحزانِ ؛ ربّما أنا سببُ وحدتي، ربّما قد صعدتُ على متنِ سفينةٍ غارقةٍ، حتّى القمرُ الّذي اعتدتُ مشاركةَ وحدتي معه لا يظهرُ كلّ ليلة، وإن ظهرَ فلهُ النّجوم، و أنا أبتعدُ و أغرقُ في ذلك الأفقِ البعيدِ .

أغرقُ في أفقٍ بعيدٍ، أدورُ و أدورُ في المكانِ ذاتِه، بدونِ تغييرٍ أو تجديدٍ، حياتي المُعتادةُ كادت تخنقني، لُفَّت الذّراعُ حولَ عنقي، و أخذتْ تعصرُها، حتّى كادَ يُطبَقُ على صدري، الهواءُ صارَ ثقيلاً للتّنفّسِ، رويداً عليّ يا حياتي، لا يمكنني التحمّلُ أكثر، لكن لا يمكنني استعجالُ مماتي، قد لا أكونُ في أفضلِ حالاتي، لكنّي أريدُ أن أضمنَ مستقبلي الآتي.

رستْ سفينةُ أحلامي على شاطئٍ بعيدٍ عنِ البشرِ، بالقربِ من راحةِ البالِ، آبَ بي الزّمانُ إلى أيّامِ طفولتي؛ حيثُ كنتُ سعيدةً مرتاحةَ البالِ، جمالُ الماضي صارَ غبارًا منتشِرًا، و صِبا الأمسِ صارَ سرابًا مندثِرًا؛ فحالي اليومَ ليست كحالي البارحة، كانتْ حياتي حلوةَ المذاقِ و الرّائحةِ، و الآنَ هي مرّةُ المذاقِ أو كالدّمعةِ المالحةِ .

ألبستُ حياتي فستانًا أسودَ اللّونِ ؛ فما زلتُ بحالةِ حدادٍ على الماضي، إنّي وجدتُ في الرّثاءِ ألمًا و سعادةً؛ فإن لم يكن البكاءُ هو الحلّ، إذًا عليّ بالكتابة .

في دقيقةِ صمتٍ على ما رحلَ من أحلامي، سمعتُ صوتًا يناديني من غابةِ الظّلامِ؛ فتنفّستُ الصّعداءَ، و تبعتُ الصّوتَ رغمَ الآلامِ؛ فوجدتُ نفسي في خَضارٍ و دنيا جديدةٍ، لعلّي في جنّةِ الأحلامِ، و على صوتِ الشّحرورِ رقصتُ، و غنّيتُ أحلى الأغاني .

مَعَ كأسِ شايٍ تحتَ ظلالِ الأشجارِ و العناقيدِ المتدليّةِ، دندَتْ أوتاري، أوتارُ عود قلبيَ الرّنانُ؛ فوجدتُ الرّاحةَ المنشودةَ أخيرًا، إلى أن اكتشفتُ أنّهُ مجرّد حلم، و صَحَوْتُ لأجدَ نفسي مجدّدًا في كابوسِ الواقعِ اللّامتناهي .

الاختلافُ شيء جميل... .
مساءُ النّاسِ قهوةٌ و سهرٌ و أم كلثومِ ، مسائي صخبٌ و ضجيجٌ و قلةُ نومٍ ، مساءُ النّاسِ سمرٌ و أحاديثٌ تطولُ ، مسائي وحدةٌ و هاتفي المحمول ؛ الاختلافُ بيننا واضحٌ و صريحٌ ، لكنّنا رغمَ الفروق تعايشنا ، و في بعضِ أمورٍ حولَ فروقنا قد تناقشنا ، هذا هو حالُ الحياةِ فلماذا نصعّبُ الأمور؟! هذي هي طبيعةُ الحياةِ و سوفَ أتقبّلُ هذا بكلّ سرورٍ .